الخلاف الأمريكي ـ الإسرائيلي .. إلى أين؟ !

الأهرام

٨ / ٢٦

د . وحيد عبدالمجيد

عندما أعلن وزير الدفاع الاسرائيلي ايهود باراك . قبل أيام . أن الولايات المتحدة تعارض شن هجوم على المواقع النووية الايرانية في الوقت الراهن . لم يكن كلامه إفشاء لسر غير معلوم . فقد كان الخلاف الأمريكي . الإسرائيلي على كيفية مواجهة المشروع النووي لإيران معروفا للمعنيين بالصراع علي منطقة الشرق الأوسط ولمتابعي تطور الأحداث في أزماتها الساخنة .

ومع ذلك لم يخل حديث باراك الى اذاعة الجيش الإسرائيلي من جديد . كما لا يخلو هذا الحديث من مغزى مهم بشأن العلاقات الأمريكية . الإسرائيلية التي يعتقد كثير من العرب أنها محصنة علي نحو يجعلها قدرا لا فكاك منه .

فالمسألة قد لا تكون مجرد خلاف عابر أو تباين في وجهات النظر بشأن تقدير موقف ما علي نحو ما حدث اكثر من مرة في جولات الحوار الاستراتيجي الأمريكي .

الاسرائيلي لسببين : أولهما استراتيجي عام يتعلق بموقع الصراع ضد ايران في سياسة واشنطن الشرق اوسطية الراهنة . فهذا الصراع هو الذي سيرسم مستقبل الشرق الاوسط لفترة قد لا تكون قصيرة وفق ما تراه مؤسسات السياسة الخارجية والأمن القومي في واشنطن .

كما أن الاخطاء التي ارتكبتها إدارة بوش الاولى وانعكست سلبا علي مشروعها لاعادة ترتيب المنطقة جعلت ادارته الثانية اقل اندفاعا واكثر حذرا . خصوصا في ادارة الصراع ضد ايران الساعية بدورها لتغيير المنطقة في اتجاه مضاد لما أراده الأمريكيون وحالت اخطاؤهم الفادحة دون تحقيقه .

ويعني ذلك أن الخلاف الأمريكي . الإسرائيلي بشأن إيران يمكن أن يصبح خلافا استراتيجيا . ويمثل بالتالي نقطة تحول في العلاقة التي تجاوزت اقصي مدى يمكن أن تبلغه الخصوصية في التفاعل بين دولتين ويتوقف احتمال ازدياد هذا الخلاف . وبالتالي حدوث افتراق استراتيجي للمرة الأولى منذ نصف قرن تقريبا . على تقدير صانعي القرار الاستراتيجي الاسرائيلي لما يعتبرونه خطرا ايرانيا والمدى الزمني الذي يمكن ان يصبح فيه هذا الخطر مصدر تهديد وجودي من وجهة نظرهم .

وربما يتوقف هذا الاحتمال ايضا على مدى شعور هؤلاء الاستراتيجيين الاسرائيليين بالمرارة تجاه واشنطن . التي يحملها بعضهم المسئولية أو مقدارا منها عن انكشاف تآكل قدرة الردع الاسرائيلية في حرب صيف ٢٠٠٦ ومنطقهم في ذلك هو أنه لولا التشجيع الأمريكي لحكومة ايهود أولمرت على شن حرب شاملة على لبنان لتقويض قدرات حزب الله . ردا على عملية الوعد الصادق في يوليو ٢٠٠٦ لما لجأت اسرائيل بالضرورة الي هذا الخيار ويرون . ترتيبا علي ذلك . انه لو لم تكن واشنطن في حاجة الى تلك الحرب املا في توجيه ضربة قاصمة الى اهم اذرع ايران الاقليمية . لاختارت اسرائيل اسلوب الضربات الانتقامية المحدودة والمتكررة .

وما كان لهذا الاسلوب ان يكشف تآكل قدرتها الردعية . على النحو الذي شجع ايران علي التوسع في تسليح حزب الله وامداده بصواريخ اكثر تطورا قد يكون بينها صواريخ مضادة للطائرات . الأمر الذي يثير قلق اسرائيل الآن ويفرض عليها اعطاء هذا الملف أولوية قصوي غير مسبوقة .

ومن هنا المرارة التي يشعر بها بعض أركان المؤسسة العسكرية . الامنية والمؤسسة السياسية في اسرائيل تجاه واشنطن اليوم . خصوصا حين ترفض ادارة بوش مساعدتها في مواجهة ما يعتبرونه تهديدا ايرانيا بالرغم من انهم لم يساعدوها فقط عندما ارادت ضرب ركائز حزب الله في لبنان . وانما قبلوا خوض حرب بالوكالة عنها .

وينقلنا ذلك إلي السبب الثاني الذي قد يجعل الخلاف الأمريكي الإسرائيلي الراهن مختلفا عن أي خلاف سابق منذ عام ١٩٥٧ وهو أن واشنطن لم تقف على حد مطالبة تل أبيب بالتروي وعدم التعجل في شن هجوم علي المواقع النووية الإيرانية . وإنما تسعى إلي إلزامها بذلك بمختلف الوسائل بما في ذلك حجب بعض المساعدات عنها . وبينما اكتفي باراك بالقول إن الأمريكيين غير مستعدين للسماح لنا بمهاجمة ايران كشفت صحيفة ها آرتس بالتزامن تقريبا مع حديثه الى اذاعة الجيش . ان واشنطن رفضت الاستجابة الى طلب قدمته اسرائيل للحصول على مساعدة عسكرية نوعية من شأنها تحسين قدرتها على شن غارات ضد المواقع النووية .

وهذه هي المرة الأولى التي تضغط فيها أمريكا على اسرائيل بطريقة تتجاوز الكلمات الناعمة منذ خمسينيات القرن الماضي . حين أوقفت ادارة ايزنهاور مساعدات كانت مخصصة لمشروعات مياه اسرائيلية بسبب تعمد تل أبيب اخفاء برنامج لتحويل مياه نهر الاردن الى النقب عن الأمريكيين رغم تعهدها بقبول خطة اقترحوها لتنظيم استخدام المياه في المنطقة . وجاءت بعد ذلك الضغوط المعروفة التي مارستها الادارة نفسها علي اسرائيل لحملها على الانسحاب من سيناء عقب العدوان الثلاثي الذي شاركت فيه مع بريطانيا وفرنسا ضد مصر .

وبالرغم من ان الخلاف الراهن اكبر واكثر اهمية بالنسبة الى الولايات المتحدة . الا ان تأثيره في علاقاتها مع اسرائيل يبدو اقل حتى الآن لأن مياها كثيرة بل هائلة جرت في نهر هذه العلاقات على مدى نصف قرن نقلتها من علاقة اكثر من عادية الى علاقة خاصة جدا ثم الي علاقة فريدة وحولت التعاطف الأمريكي مع المشروع الصهيوني الي تحالف استراتيجي متين .

ولذلك فالسؤال الذي يصح أن نقف أمامه اليوم بأكبر مقدار من الاهتمام هو هل يمكن ان يتوسع نطاق الخلاف بين الولايات المتحدة واسرائيل على حجم الخطر الايراني الذي تتفقان عليه من حيث المبدأ وعلى المدى الزمني اللازم لكي يصبح تهديدا فعليا وبالتالي علي كيفية مواجهته؟

واذا افترضنا ان هذا الخلاف سيتوسع وان مواقف الطرفين ستتباعد فهل يمكن ان يؤدي الى تراجع في العلاقات بينهما بالرغم من عمق ركيزتيها القويتين وهما التحالف الاستراتيجي والرابطة العاطفية؟

وهل يبقى مجال لمثل ذلك التحالف اذا بادرت اسرائيل مثلا ففاجأت الولايات المتحدة بمغامرة عسكرية منفردة ضد ايران بالرغم من كلام باراك الواضح عن اصرار واشنطن على عدم السماح لتل ابيب بذلك؟ ثم هل تصمد الرابطة العاطفية التي تربط الأمريكيين بكيان تجمعهم معه قواسم مشتركة في طريقة النشأة والمثل فضلا عن التعاطف مع الماضي المأساوي لليهود . امام خسارة استراتيجية كبري يرجح أن تمني بها الولايات المتحدة في حالة فشل الهجوم الاسرائيلي المفاجئ أو المغامرة حيث لا فرق في هذه الحالة تحديدا على ايران في تحقيق أهدافه؟

هذه اسئلة يتعين ان تكون مطروحة على مؤسسة السياسة الخارجية والأمن القومي ليس فقط في مصر . ولكن في العالم العربي عموما وهي تراقب الآثار المحتملة لدور ايران المتصاعد في المنطقة علي العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

ضوء أصفر

السفير

٨ / ٢٦

ساطع نور الدين

هو نوع من العبث الدبلوماسي الذي باتت باريس تتميز به وتحترفه، عندما تدعي لنفسها أدوارا تفوق حجمها، وتطرح أفكارا تتعارض مع وزنها، وتزعم انها مركز استقطاب إلزامي لكل من يعمل على تنظيم السياسة الدولية، ومعالجة أزماتها الكبرى. كانت حرب القوقاز بين روسيا وجورجيا نموذجا. وها هي سوريا مثال آخر، يقع لبنان على هامشه، ويمثل اختبارا لسياسة فرنسية متحركة في فراغ.

أراد وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنير خلال عبوره في بيروت امس، في طريقه الى دمشق، ان يقنع الغالبية اللبنانية ان الانفتاح الفرنسي على سوريا، الذي تحفظ عليه علنا ، لن يكون على حساب تلك الغالبية، كما ان زيارة الرئيس نيكولا ساركوزي الى العاصمة السورية الاسبوع المقبل، التي توقع لها الفشل، لن تؤدي الى التخلي عن لبنان.

الرسالة وصلت، برغم أن أحدا في بيروت لم يكن حاضرا لتلقيها، لا الغالبية التي تبحث عما يحفظ موقعها امام واحدة من اشد الهجمات الامنية والسياسية ضراوة عليها من قبل خصومها ، ولا الاقلية التي تتطلع الى دمشق لكي تتابع الاستقبال الرسمي لوزير فرنسي لا يكن لها أي ود، لكنه أرسل الى العاصمة السورية لابلاغها انه لا مكان للاجتهادات الخاصة في السياسة الفرنسية.. غير الثابتة.

سأل كوشنير في بيروت عما يمكن ان يقوله في دمشق، فسمع اقتراحات لبنانية عديدة تنطلق من الاشادة بالانجاز الذي يمكن ان ينسب لباريس اكثر من غيرها والمتمثل بإقامة علاقات دبلوماسية بين دولتي لبنان وسوريا، وتتناول قضية مزارع شبعا والمعتقلين اللبنانيين في السجون السورية.. وتفترض، عن حق طبعا، ان العاصمة الفرنسية هي الوسيط الوحيد بين الدولتين، بعدما غاب الوسطاء الآخرون او انحازوا لاحداهما.

لكنها وساطة تشبه الى حد بعيد الدور الذي قامت به باريس بين كل من موسكو وتبليسي في الاسبوعيين الماضيين، وتخدم وجهة النظر الشائعة حاليا في كل من دمشق وبيروت عن تماثل بين حرب القوقاز الروسية الجورجية وبين الحرب الباردة السورية اللبنانية.. برغم ان الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي لا يمكن ان يدعي انه هو الذي انهى الحربين، او انه حصل على ضمانة من نظيره الروسي ديمتري مدفيديف بالالتزام بتنفيذ النقاط الست الشهيرة الخاصة بالانسحاب التام من جورجيا وعقد مؤتمر دولي لحل ازمة الحدود والسيادة على اقليم اوسيتيا، او على ضمانة مماثلة من الرئيس السوري بشار الأسد..

ما جنته باريس حتى الآن في الوساطتين لا يؤسس لاكثر من هدنة، ولا يجعل منها مفاوضا رئيسيا، لان حدود حركتها تجاه روسيا تشبه قيود حركتها تجاه سوريا: حصلت على ضوء اصفر اميركي يمنعها مثلا من ان تبيع طائرات ايرباص ومن ان توقع عقود النفط مع كل موسكو ودمشق، ويفوضها التحدث فقط مع المسؤولين في العاصمتين عن حقوق الانسان الروسي والسوري.. الى ان يحين موعد التفاوض الجدي معهم حول قضايا عديدة بينها لبنان وجورجيا!.

عمار يا مصر حريقة..!

الجمهورية

٨ / ٢٦

عدلي برسوم

لا أعرف ولا أستطيع أن أفسر لماذا أعاد إلي حريق مجلس الشورى رائحة حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢.

رائحة الحريق واللهب والسماء التي أخفاها الدخان الأسود أثارت في نفسي حزناً شبيهاً بما أحدثه حريق القاهرة.

قد تكون هناك فروق بين الحريقين.. إلا ان الذي احترق هو جزء من بلدي.

حريق القاهرة عام ١٩٥٢ اشتعل في قلب العاصمة والتهم عشرات المحلات التجارية.

وحريق الشورى عام ٢٠٠٨ اشتعل في منطقة القرار السياسي والتشريع والضبط والربط وهي أيضاً جزء من قلب العاصمة الحيوي والأكثر حساسية وحيث تكون العيون مفتوحة علي آخرها.. والآذان تسمع دبة النملة والعسكر العلنيون والسريون ينتشرون في كل أرجاء المكان!

حريق القاهرة ١٩٥٢ بدأ بعد العاشرة صباحاً أي في عز النهار وحريق الشورى بدأ في الخامسة مساء وهذا الوقت جزء من النهار المضيء الذي لا يخفى شيئاً!

في حريق القاهرة كان المتظاهرون يقطعون خراطيم المطافيء لتعطيل اطفاء النيران.. وفي حريق الشورى يقال ان سيارات الاطفاء وصلت بعد ساعة ونصف الساعة من اندلاع النيران لأن الطريق لم يكن مفتوحاً أمامها.. فهل كان رجال المرور مشغولين بتطبيق قانون المرور الجديد!!

في حريق القاهرة كان المواطنون يهربون من مناطق الحريق خوفاً على حياتهم.. وفي حريق الشورى كان المواطنون يتزاحمون "لمشاهدة" الحريق!

❖❖❖❖

وحتى الآن لم يحسم التاريخ تماماً من الذي أحرق القاهرة عام ١٩٥٢.

وحتى الآن نسمع مسئولين وقبل أن تبدأ تحقيقات النيابة أن ماساً كهربائياً هو المسؤول عن حريق الشوري.. والتاريخ مسؤول عن قول الحقيقة لأن حريق الشوري ليس مثل حريق في "شونة قطن" بل هو حريق يلسع مصر في القلب! لأن المكان يضم ذكريات الوطن وهي ليست ذكريات ميتة بل هي وقائع حياته بما فيها من نضال وانتصارات وما فيها من لحظات وقف فيها التاريخ صامتاً أو غاضباً. ان الأماكن الغالية في تاريخ الشعوب قد تغرقها مياه السيول والفيضانات وقد تهدمها الانهيارات الأرضية العنيفة وقد تنهار بفعل الزلازل أو تقاوم العمر.. وهنا يتقبل الناس حكم القضاء والقدر ويستطيعون مداواة حزنهم.

ولكن اندلاع حريق مدمر في المكان الغالي هو نوع من اغتيال التاريخ وطعنه من الخلف!

وهذا ما حدث لمجلس الشورى أو بمعني أدق لما يحمله بداخله من وثائق تؤرخ لمرحلة مهمة في عمر الوطن.. وتحكي لأجيال وأجيال كيف نشأت مكونات هويتنا الوطنية.

❖❖❖❖

ولكن من الذي له مصلحة في محاولة اغتيال خزائن الوطنية المصرية التي كانت محفوظة في مبني مجلس الشورى؟.

المتهم حتي الآن هو الماس الكهربائي كما بادر بتوجيه هذا الاتهام مسئولون كبار فور اندلاع الحريق.. وقبل أن تبدأ معاينة جهات التحقيق وقبل أن تقوم جهات البحث الجنائي بعملها.

ونأمل أن يتأكد اتهام الماس الكهربائي بمحاولة اغتيال مجلس الشورى حتي ترتاح نفوسنا وتفارقنا الخواطر السيئة ونطمئن إلي انه ليس بيننا عدو لتاريخنا وحاقد على هويتنا وكاره لتعريف أجيالنا بالوقائع المصرية التي تعيش حية داخل خزائنها بالمبني الذي التهمته النيران.

وإذا كان مستحيلاً محاسبة الماس الكهربائي فهل يصبح ممكناً محاسبة الاهمال الذي أغرى الماس الكهربائي بأن يرتكب جريمته الشنعاء؟

❖❖❖❖

وحتي تقول النيابة العامة كلمتها الفاصلة قد يزعم البعض ان مساعد شرطة الدفاع المدني بمجلس الشورى هو الذي يتحمل مسئولية الاهمال.. والرجل لقي مصرعه تحت الأنقاض وهنا لابد من أن نغلق الملف وننسى ما حدث!

وقد يذهب البعض إلي ان هناك اهمالا يتعلق بتشغيل أجهزة الانذار المبكر بوقوع حريق ولكن ما هي مسؤولية البشر عن أجهزة أصابها عطل مفاجيء أشبه بالسكتة القلبية التي تصيب الإنسان.. وليس من العقل أن نحاسب أجهزة كانت في حكم الموتى!!

وقد يظهر حكماء من بيننا يدعوننا بكلام جميل معطر أن نطوي هذه الصفحة المحترقة من تاريخنا وان ننظر إلي المستقبل بروح صافية!

ومن باب السخرية بأقدارنا قد يطلع علينا من يرفع شعار "يد تحرق ويد تبني" ويا دار ما دخلك شر!

وكل حدث خطير تحيطه في بدايته شائعات وتصورات وتغيرات.. فكل ذلك يتوقف حين يجري إعلان الحقائق كاملة وبشفافية وصدق كاملين.. لأن جموع المصريين هم المالك الوحيد والأصلي لمبنى مجلس الشعب وما فيه من تاريخ ومن ينكر على المالك حقوقه في ملكه يرتكب فعلاً مؤثماً!

❖❖❖❖

ولا أعلم لماذا أصابت عقلي غيبوبة مفاجئة وأنا أطالع تداعيات حريق الشورى وأرى النيران تلتهم المبني بشراهة مفجعة.. فقد وجدت أخبار الحريق محاصرة بأكثر من ١٥ إعلاناً علي اتساع صفحات كاملة وبالألوان المبهرة التي تتناقض تماماً مع براكين الدخان الأسود التي تتفجر بوحشية.. إعلانات تبيع القصور والفيلات والشقق الملوكي في أجمل بقاع مصر.. إعلانات ترى فيها كل شيء بألوانه الطبيعية.. الرخام المستورد وحمامات السباحة بزرقتها الصافية وملاعب الجولف بخضرتها البهية على امتداد البصر.. وتقدم لنا ألوان الزهور المختلفة التي تنبت حول القصور وفي شرفاتها وفوق أسوارها المنيعة..

لحظة تناقض كئيب بين مشاهد الحريق التي تلتهم مجلس الشوري في قلب القاهرة وبين مشاهد الرفاهية المفرطة.. وكان لابد أن أغلق عقلي حتي لا يصيبه شلل.

تصورت شركات البناء العملاقة وكأنها تقول لا يهمنا أن يحترق مجلس الشورى فقد نكسب من إعادة بنائه الكثير.. وكأنها تقول أنا الأقوي علي أرض مصر لأنني أبني لكبارها ومترفيها وأثريائها وأصحاب الأيدي الطويلة بها.. ابني لهم ما يحتاجونه من أماكن راحة.. وأماكن لهو.. وأماكن عشق.. وأماكن عقد الصفقات السرية والعلنية.. وأماكن الاتفاق على نهب مصر.

وأبحث عن إعلان واحد يعرض للبيع شققاً لمتوسطي الدخل فلا أجد.. وأبحث في إعلانات الحكومة عن مثل هذه الشقق فلا أجد وبسرعة تخطف بصري إعلانات القصور.

ترى من يبني لفقراء مصر؟

ربما أحلامهم تعلقت بقرارات الشوري.. ولاشك انها أحلام متواصلة.. ويصعب أن نصدق ما قيل من ان المواطنين احتشدوا ليتفرجوا على الحريق.. وأظنهم احتشدوا قلقاً وخوفاً علي مصر لأن النار حين تطال أي مكان في مصر فهي في نفس الوقت تطال احساسهم بالأمان.

والمصريون محقون في الخوف وفي القلق!

شاهد على القَصْر

الدستور

٨ / ٢٦

خيري منصور

مهما اتسعت القصور أو تمددت فهي ليست عصورا ، حتى في ذلك الزمن الامبراطوري الذي صاح فيه من اختلط عليه الأمر فقال أنا الدولة والدولة أنا. ومفهوم العصر هو اختصار وتكثيف للتاريخ برمته ، ليس فقط من خلال عيّنات مختارة منه وليست عشوائية ، بل لأن العصر يشمل السياسة والفكر والفنون والعمارة وانماط التفكير والسلوك وكل شيء ، لهذا اقترح بعض المؤرخين والشعراء أن تكون كلمة ثقافة مرادفة للحضارة ، لأنها تشمل كل ابعاد الحياة ولا تفلت منها حتى الخرافات والاساطير.

فكيف يكون شاهدا على العصر من لم يغادر القصر الا لماما ، وان غادره فهو محتكم اليه ومسكون به ولا يستطيع الفكاك من جاذبيته؟

نعرف ان زمننا هذا هو زمن المصغرات والمكعبات الاشبه بلعبة الليغو واحيانا يصبح لعبة كريات زجاجية اذا استعرنا هذا التعبير من الروائي هيرمان هيسة.. لقد كان بعض الفلاسفة والمثقفين ذوي الامتداد الكوني العابر للجنسيات والطبقات واللغات شهودا على عصورهم.. فلا يمكن لنا أن نفهم اليونان وحضارتهم بدون الثلاثي الخالد سقراط وافلاطون وارسطو اضافة الى اسخيلوس ويور بيدس وموسوعة الميثولوجيا اليونانية.

ولا يمكن لنا ان نفهم القرن التاسع عشر الاوروبي اذا حذف منه فلاسفته ومصلحوه والحالمون بالمدن الفاضلة تعبيرا عن احساسهم بالاقامة في المدن الرازلة..

ان فترة ما بين الحربين العالميتين لا تفهم اذا احتكمنا فقط الى كتب التاريخ ، ولا بد من قراءة شعراء وفناني ومفكري تلك الفترة لأنهم من شهدوا عليها من الداخل.

ان هيجل شاهد على عصره وكذلك فولتير وجيته وسارتر وكامو وطه حسين ونجيب محفوظ وادوارد سعيد وغيرهم،

ونحن لا نذكر الان من كان يرأس وزراء مصر في العقد الاول من القرن العشرين ومن كان يعمل وزيرا لخارجية المانيا في عصر الامبرطور فريدريك ، ومن كان سفيرا لليونان في فرنسا في زمن كازنتزاكي ومن كان يرأس جيش القيصر الروسي في زمن ديستويفسكي أو تولستوي،

ان الشهادة على العصر تتجاوز الحدود الاقليمية للأوطان والأقطار ، والعصر لا يقبل الاختزال الى عقد أو عقدين من الزمن ، كما ان الموظف ليس هو المثقف وقد يكون في بعض الاحيان الافروآسيوية نقيضه.

ويبدو ان هذه الحقبة التي تشهد تضخما في الاقتصاد وتعويما في الاسعار وافراطا في الخصخصة وغسل الأموال جعلت المجاز بسعة القاموس كله فالألقاب توزع بالمجان ، مما يذكرنا بما قاله شاعر ساخر:

قومي رؤوس كلهم

أرأيت مزرعة البصل؟

ان الشهود أنماط كما هو الحال في المحاكم فثمة شاهد نفي وشاهد اثبات وشاهد حق وشاهد زور ، وقد حذف عصرنا الغاشم الفارق بين الشهيد والشاهد لان عقوبة الصدق الوحيدة هي الاعدام رميا بالرصاص أو الدولارات،،